نشرة شهرية الكترونية
العدد رقم 17
كانون أول 2025

Heritage تراث

جمعية تراث بيروت
BEIRUT HERITAGE SOCIETY

ما يفرح القلب، في شأن التراث

إنعام خالد

خاطرة أود أن أشارككم إياها باسم جمعيّة تراث بيروت كوني من المؤسّسين لها والناشطين فيها.

هل بدأنا نحصد ثمار ما زرعنا من وعيّ بضرورة المحافظة على تراث مدينتنا بيروت، والإضاءة على تاريخها القديم والحديث، وعلى عادات أهلها وتقاليدهم؛ وايقاع حياتهم على مرّ السنين، كي نستلهم العبر والحكم والقيم التي سادت مجتمعًا منفتحًا على ثقافات الدنيا، وفي الوقت نفسه كان راسخًا في جذوره، ومتمسّكًا بثوابته إلى حدّ كبير، وإلّا لَما عاش وتخلّد لقرون عديدة.

ما يسعدني هو أن أرى نشطاء - صبايا وشباب - يهتمون بتراث بيروت المعماري والمُدُني، وكذلك الإجتماعي الشعبي، بحكايا أهل بيروت زمان، وذكريات آبائنا عن أيام شبابهم، وتفاصيل تعاملاتهم، وعلاقاتهم بالأمكنة كالحيّ والمنطقة، والسوق، والمدرسة والجامعة، المقاهي والمطاعم، والبحر والحرج... وبالأزمنة، أي المناسبات، وكذلك بالأدوات والمنتجات في زمنهم، الذي يعبّرون عنه بالزمن الجميل.

ما أروع أن نرى اهتمام صبايا وشباب بما يرسمه فنانون تشكيليّون وفنانات عن بيوت بيروت وأسواقها ومعالمها ووجوه شخصياتها.

ما أروع أن أتابع نشاط وسائل التواصل الجديدة نسبيًّا والناشطين والناشطات عليها لألحظ تطوّر المحتوى الذي يصبّ فيما نهدف إليه من نشر ثقافة الوعيّ بتراثنا العريق.

ما أروع أن أشاهد أفلامًا تحكي ما تحكيه عن بيروت أيام زمان، وفيها لربما بعض الأخطاء التأريخيّة وغيرها مما يزعج أصحاب التعمّق وبعض المتخصّصين، ويثير تحفّظهم بدل أن تغمرهم الغبطة أنّ شباب اليوم يحاول أن يتلمّس معالم الأمس، وسيصحّح أخطاءه شيئاً فشيئا.

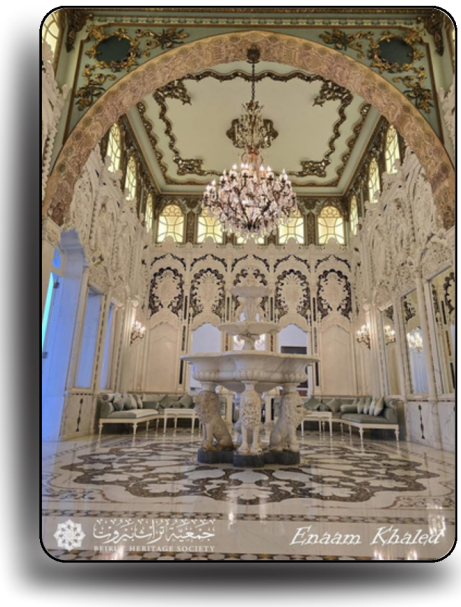

تراثنا بمأمن، وبيروتنا ستعود بخير ورسالتنا أثمرت.

وستبقى بيروت سيدة العواصم، ولؤلؤة الشرق على الدوام.

عن التراث حسب منظمة اليونيسكو UNESCO

"التراث إرث الماضي، والحاضر الذي نعيشه اليوم، وما ننقله إلى الأجيال القادمة، ومصدر لا غنى عنه للحياة والإلهام".

كانوا يقولون القادم أجمل،
صاروا يقولون الماضي أجمل

من طرائف مقهى الحاج داود

عبد الفتاح خطاب

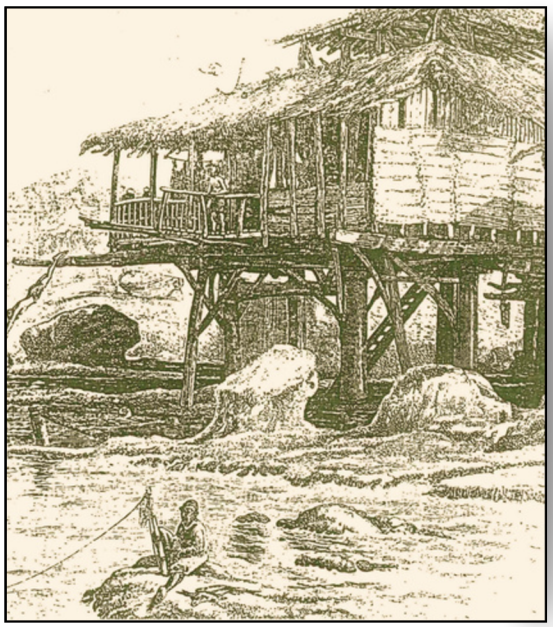

أقدم صورة للمقهى نشرتها مجلة «العالم المصوَّر» «El Mundo Ilustrado» برشلونة، عام 1881، الصفحة 617.

اعتاد مقهى الحاج داود أن يفتح أبوابه من الساعة الخامسة صباحاً حتى السادسة مساء، قبل أن تزدحم المنطقة بروّاد الملاهي الليليّة والخمّارات، بحيث لا يختلط هؤلاء بروّاد المقهى الذي كان محرَّماً فيه لعب القمار أو شرب الخمور.

وكانت للمقهى مساحة منفصلة بالشراشف مُخصصة للعائلات. ويروى أن الحاج داود خطّاب (جدّ والدي) إذ مرّ يوماً بتلك المساحة واشتمّ رائحة العرق الكحولي، اقترب من الطاولة وأمسك بشرشفها من زواياه الأربع وحمله بما فيه من صحون وكبايات ومأكولات ورماه في البحر.

كان الدكتور محمّد خالد (ابن سماحة المفتي محمد توفيق خالد، ومؤسّس المؤسسات الاجتماعية المعروفة باسمه) يرتاد المقهى. ومن طرائف ما يروى، أنْ عند الحالات الطارئة كان يتمّ استدعاؤه بإطلاق سهم ناري من سطح مستشفاه (في محلة البسطة ويُشرف على المقهى)، فيرُدّ بإطلاق سهمين إشارَة أنه تلقى الخبر، فيركب سيارته البويك وينطلق مُسرعاً نحو المستشفى.

وكان قبضايات بيروت، منهم راشد اللوزي وأبو سعيد جنّون ودرويش بيضون، من روّاد المقهى، وكان مديرُ الأمن العام الفرنسي في سوريا ولبنان المفوّض كولومباني يلتقي القبضايات في المقهى لتسوية الأمور وتهدئة الأوضاع!

وعن عائلة بيضون، أنّ كولومباني كان صديقاً شخصياً لدرويش بيضون (أبو علي) ثم بات شريكه في أعماله التجاريّة!

وذات يوم كان في المقهى ضابط فرنسي واضعاً ساقاً فوق ساق، ما كان يغيظ درويش بيضون الذي طلب منه أن يجلس معتدلاً، فأبى الضابط فأمسكه بيضون من كرسيه وقذف بهما إلى البحر! وكالعادة أزال كولومباني ذيول الحادثة!

لكل شجرة في بيروت ذكرى

يرجح أن تكون الصورة لشجرة الجميز التي سميت منطقة الجميزة البيروتية بإسمها، في لقطة جميلة نادرة من حوالي سنة 1901 بعدسة الأخوين صرافيان.

يذكر الأستاذ عبد اللطيف فاخوري في كتابه القيّم "ذاكرة أزهار وأشجار بيروت" أن البيارتة أحبّوا أشجارهم وأزهارهم، وأطلقوا أسماءها على بعض أحيائهم وعلى بناتهم، فأسهمت تلك الأشجار في تخطيط المدينة وتحديد أحيائها السكنية. فاشتهر كل حى بشجرة معينة. وهكذا نشأت أحياء: الجميزة، والزيتونة، والخروبة، وجب النخل، والتينة، والصنوبرة، والسنطية، نسبة إلى شجرة السنط، ولا يزال بعض هذه التسميات جارياً حتى اليوم.

ومن الطريف أن نشير إلى أن المحلة التى كانت مجاورة للكنائس وسط المدينة القديمة، قرب مجلس النواب الحالي، كانت تُعرف بمحلة الدراقن (...) كما أخذت عائلات شهرتها من أحد الأزهار كعائلات: قرنفل ووردة والزنبقي وزهرة.

ولا يُنكر ارتباط الأشجار، ولا سيما المعمرة والمثمرة منها: بذاكرة المكان. ولكل شجرة ذكرى، وفي كل شجرة تأريخ.

رزق اللّه يا بيروت ...

مروان جارودي

أشياء كثيرة انقرضت، أو تقف اليوم على حافة الاندثار، كأنها تلوّح لبيروت من بعيد وتقول: "رزق اللّه يا بيروت..."

كتب مروان جارودي عن ذاكرة مدينة كانت تنبض بتفاصيل صغيرة، لكنّها كانت تصنع ملامح الحياة كلّها.

ياما في اشيا راحت وانقرضت، ضيعان الهاون النحاس الذي كان يستعمل في هرس الثوم والبهارات ودق اللحمة ... وبابور الكاز مع النكاشة وطساسة الكاز التي تستعمل خلال اشعاله ...الغربال الخشب الكبير ...قلم الكوبياء الأزرق الذي يجب أن تلحسه بلسانك ليكتب ...الخطّاطين حيث حلّ مكانهم الذكاء الاصطناعي ...مطحنة البن اليدويّة النحاس... حماصة البن اليدويّة مع قاعدتها الخاصّة بها ليرفعها عن النار...قنديل الكاز الزجاجي ...

طنبر الكاز مع زموره الذي يجره البغل أو الحصان المحال إلى التقاعد... بائع الدبس الذي يتنقل على حصانه أو حماره ليبيعه...

السطيلة النحاس التي كنّا نضع فيها طعام المدرسة ... والسبَت القش أيضا لنفس الغرض ... بائع السوس المثلج بثيابه المميّزة ... بائع غزل البنات والكرابيج بفرنك...مجلخ السكاكين والمقصات... مبيّض الطناجر النحاس...

القازان بالناريت "وهي أكياس نشارة الخشب مع مازوت أو زيت محروق..." كارت البوستال الذي نرسله بالبريد عندما كنا نسافر ونعود لبيروت قبل وصوله لنقرأ على خلفيته تحياتنا ...واخيرا وليس آخرًا صندوق الفرجة خصوصًا في حرش بيروت...

ورزق اللّه يا بيروت....

بيروت من خلال يوميات رحلة إلى الشرق

نبيل شحادة

ويليام بيمونت" (1779-1889)

تُمثّل كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا بيروت في العهد العثماني مصدراً مهماً لفهم بعض ملامح المدينة في زمن التحوّلات الكبرى، ولرسم صورة مقتبسة من الواقع لمعالمها العمرانية وحركتها التجارية، والتنوّع الدينيّ والثقافيّ الذي كان موجوداً فيها.

ومن هؤلاء الرحالة، "ويليام بيمونت" (1779-1889)، وهو محام انكليزي، ورئيس لبلديّة في شمال غرب إنجلترا. سافرَ الى بلادٍ كثيرةٍ وبعيدة، وجالَ في ربوع لبنان وسوريا وفلسطين ووصل إلى مصر. وعُدّت مجموعة كتبه التي نشرها بعد ذلك، مصدرًا قيّمًا للتاريخ الاجتماعي، ومنها زيارته لبيروت، حيث كتب عن مشاهداته وأيامه التي قضاها فيها في كتاب "يوميات رحلة إلى الشرق في خريف عام 1854" الصادر عن دار لونغمان في عام 1856، ونقتبسُ هنا بعضا مما كتبه:

"عندما استيقظت في الصباح، تأكدت أنّني أرتحت من عناءِ البحثِ عن سكن، بالإقامة في فندق "بيل فيو" الأوروبيّ الطابع، وهو نزلٌ ممتاز بكلّ ما للكلمة من معنى، ويقوم على حافة مياه خليج بيروت الواسع، حيث تمرُ السفنُ قريبةً من نوافذه، لدرجة أنّني تخيّلت أنّ بإمكاني التحدّث إلى أشخاص في باخرة "ليفربول اوروتنز" وهي في الميناء.

في بيروت يُمكن رؤية بقايا الأسوار القديمة للمدينة بشكل واضح، ولا تزال بعض الأبراج قائمةً، وهي رائعة الجمال رغم خرابها.

فحصتُ جدران أحد الأبراج، ووجدتها سماكتها تصل إلى أربعة ياردات (3.6 متر)، وهي صلبة وبدون فتحات أو ثقوب، ويبدو أنّ هذا البرج كان يُشرف على البوابة الغربيّة للمدينة. كما رأيت أعمدةً رخامية ملقاة قرب البرج، على بعضها نقوش منحوتة اعتقد أنّها فينيقيّة.

أسواق بيروت، التي تجوّلت فيها هذا الصباح، هي أكبر حجماً وأفضل تأثيثاً من أيّ أسواق رأيتها حتى الآن. رأيت هنا حبات السمسم تُنثر مع حبوب الصنوبر فوق الخبز الفاخر واللحوم اللذيذة، مما ذكّرني بما رأيته من فطائر على شكل معينات كبيرة، مزينة بنفس الطريقة في لندن.

شاهدت في بيروت أيضا شجرة أخرى تهمني، وهي شجرة الجمّيز المذكورة في الكتاب المقدس، وهي كبيرة الحجم، وجميلة ومنتشرة في الأماكن العامّة، وفي الموسم، تحمل هذه الأشجار ثمارًا مرقّطة باللونين الأحمر والأبيض، وحجمها كحبات الكرز تقريبًا. كما شاهدت أشجار التوت التي تُستخدم أوراقها لدود القز، كما أنّ أشجار الزيتون منتشرة هنا".

جمعية تراث بيروت، تعنى بنشر الوعيّ لأهميّة المحافظة على تراث بيروت الثقافي والفني والمعرفي والشعبي، والعمل على توثيق تاريخها، ونمط عيش أهلها وتقاليدهم.

www.beirutheritage.org
facebook/BeirutHeritage
instagram/beirutheritage